

أساتذة الجيل :

٢- أحمد تيمور باشا

ندوته في درب سعادة

للأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف

« إلى الصديق الكريم ، والباحث المحقق ، الدكتور
عمد ساي الدهان ، وفاء بما وعدته من الإفاضة في الحديث
عن أولئك الأساتذة الأماثل الذين مهدوا الطريق أمام هذا
الجيل ... »

خافية ، أو طرفة أدبية رائمة ، أو فكاهة حلوة تروي وتحفظ .
وكان الكبراء والعظماء وأهل البيوتات لهمد أدركناه ،
يرون تقرب العلماء والأدباء حلية ومظهراً من مظاهر المثالة
والعراقة ، فكانوا يفسحون لهم في جانبهم وفي منازلهم ، ويبدلون
لهم من جاههم ومالمهم ما وسمتهم القدرة على ذلك ، فكانت هذه
المجالس هي مجال التفكير العلمي والأدبي والتدبير السياسي والاجتماعي
وليس من شك في أن هذه المجالس قد آثرت في حياتنا الفكرية
أكثر مما آثرت « الصالونات الأدبية » في الأدب الفرنسي في
القرن التاسع عشر ، ولكننا من الأسف لم نجد المؤرخ الذي
يدون أخبارها ، وبذكر آثارها . . .

كانت في دار الأميرة نازلي هانم فاضل ندوة ، وفي دار
آل البكري ندوة ، وفي دار سليمان أباطه باشا ندوة ، وفي دار
الإمام محمد عبده بعين شمس ندوة ، وفي دار آل عبد الرازق
ندوة ، وفي دار آل القاياتي ندوة ، ولا تزال منها بقية باقية ...
وكان من أحفل هذه الندوات وأعمرها ندوة أحمد تيمور في
درب سعادة حيث كانت دار آل تيمور الفسيحة الجنبات
المتفتحة الأبواب ...

ولقد رأيت فيما قدمنا لك أن والد أحمد تيمور باشا قد عكف
في آخر حياته على جمع الكتب ومجالسة أهل العلم والأدب في
داره ، فلما شب الابن جرى على سنة أبيه في هذا ، وكانت له به
قدوة ، ففتح داره لشيوخ العصر وأعلام اللغة والأدب وكل من
يمت إلى هذا بسبب ، فكان يجتمع في هذه الدار الأستاذ الإمام
الشيخ محمد عبده والشيخ محمد بن محمود الشنقيطي والشيخ حسن
الطويل والشيخ أحمد أبو خبطة والشيخ طاهر الجزائري والسيد
محمد البيلاوي والشيخ محمد شاكر والشيخ حسن منصور
والشيخ أحمد مفتاح ويحيى أفندي الأقباني ومحمد أفندي أكل
والشيخ أحمد أبو الفرج الدهموري ، والشيخ عبد الرحمن
الكواكبي والسيد عبد المحسن الكاظمي ورفيق بك العظم ،
والسيد محمد رشيد رضا ، ثم كان بعد هؤلاء رعييل آخر من
أعلام الأدب واللغة ورجال القلم والصحافة والمستشرقين الذين
كانوا يتوافدون على مصر للدراسة والتحقيق العلمي والبحث عن
المخطوطات النادرة ، فكانت ندوة أشبه بجامعة علمية تمت لها كل
فروع المعرفة ووسائل الدراسة العملية والأدبية وامتازت بالتحلص
من قيود النظم والقوانين ...

كانت منازل الكبراء والعظماء وأهل البيوتات لهمد
أدركناه ، منازل لأهل الفضل من العلماء والأدباء والشعراء ،
ومجامع للفحول في كل علم وفن ، يلتقون فيها كل ليلة أو كل
أسبوع ، تفتباحثون ويتجادلون ، ويسمرون ، ويضحكون ،
ويذهبون في فنون القول مذاهب ، فاشتت من حقيقة علمية

في كلاه ، فلم يلبث إلا مدبدة أعلمته أنه لا يماود هذه الحيات ،
وكان كذلك ، وإنما صدقني في أول الأمر عن أن أبت القول بأن
به خراجاً في كلاه أنه يحم قبل ذلك حمي غب وحيات آخر فكان
للظن بأن تلك الحمي المخلطة من احتراقات تريد أن تصبر ربما
موضماً أقوى . ولم يشك إلى أن قطنه شبه ثقل مملق منه إذا قام
وأفقلت أنا أيضاً أن أسأله عنه ، وقد كان كثرة البول يقوى
ظني بالخراج في الكلى ، إلا أنني كنت لا أعلم أن أباه أيضاً
ضعيف المثانة يمتريه هذا الداء ، وهو أيضاً قد كان يمتريه في صحته
فينبتي الأفضل بعد ذلك غاية التقصى إن شاء الله ، ولما بال المدة
أكببت عليه بما يدر البول ، حتى صفا البول من المدة ثم سقيته
بعد ذلك الطين المختوم والكندر ودم الأخوين ومخلص من
علته وبراً برء تماماً سريعاً في نحو من شهرين . وكان الخراج
صعباً ودلني على ذلك أنه لم يشك إلى ابتداء ثقلا في قطنه ،
ولكن بعد أن بال مدة قلت له هل كنت تجد ذلك ؟ قال نعم ،
فلو كان كثيراً لقد كان يشكو ذلك ، وأن المدة تثبت سريعاً
تدل على صغر الخراج . فأما غيري من الأطباء فإنهم كانوا بعد أن
بال مدة أيضاً لا يعلون حاله البتة .
(البقية في العدد القادم)

هو وداك من بنور حتى كسرته من نفسك
أهديك سلام يشحن وابور يقطع محطات على حرك
هو الكتاب دم الجنة ولا كلام الجربيطي
أبو علي كان لك محنة الله يجازي الشنقيطي

بكره يجينا الشيخ مفتاح يحلى السهر في التهارى
نفضل ندرش للأصباح والشيخ بروحه موش دارى
عبيط خفيف عالم فلاح بجوز شوارب هوارى
أوقات كده بيق زنه وأوقات نشوفه رهريطى
أبو علي كان لك محنة الله يجازي الشنقيطي
وهو زجل طويل ، وكله على هذا النحو من الطرافة
والدعاية ، وقد أوردته جميعه تيمور باشا في كتابه أعيان القرن
الثالث عشر .

ويحكى تيمور باشا في ترجمة محمد أفندى أكل أيضاً فيقول :
« وأطلمته على رسالة عندي جمها الشيخ أحمد الفحواوى وذكر
بها كفى وألقاباً وضمها لفضلاء أواخر القرن الثالث عشر على
سبيل الزواج والدعاية ، فلقب كل واحد بلقب شاعر متقدم
أو رجل مشهور يوافق اسمه هيئة اللقب به أو شيئاً يقاب على
أخلاقه وأحواله ، فلما اطلع المترجم عليها جن بها جنوناً وشرع
في وضع رسالة تعالها في فضلاء عصره ، وسألني مشاركته فيها
فامتنت خشية اللوم فأنفرد هو بتأليفها وأني فيها بفرائب ، فن
ذلك تلقيبه للعالم الفاضل على رفاة ابن المقفع لنجاحته ودخول
شديقه ، وتلقيبه للعالم الفاضل يحيى أفندى الأفغانى بالقدورى
لنراية شكله وقصر ساقيه تشبهاً له بالقدور من النخار ، والقدورى
اسم عالم مشهور من الحنفية ، ولقب نفسه بابن قتيبة ، ثم تركه
وتلقب بالمقوس ، ولما لقب صاحبنا وصاحبه الشيخ أحمد مفتاح
اسلامه طويته بالأبلة البندادى غضب منه ، وكاد يتفاهم الشر
بينهما ، وغضب منه صاحب آخر وكان قصيراً ممتلئاً بتدحج
في مشيته كما يتدحج البط لانه لقبه بابن بطوطة . . .

وهكذا كانت ندوة تيمور باشا مجالاً للمداعبات الأدبية
والفكاهات الطريفة بين الأصدقاء والإخوان كما كانت مجال
علم وأدب ، ودراسة وتحقيق .

محمد فرهمي عبد اللطيف

« له بية »

في هذه الندوة تخرج أحمد تيمور ، ودرس وحصل وأفاد ،
واستطاع أن يقرأ جميع ما جمع من أمهات الكتب ونوادير
المخطوطات وأن يعلق عليها التلميحات المفيدة ، فبعد أن كان يجلس
في هذه الندوة مجلس التلميذ المستفيد أصبح يجلس مجلس الأستاذ
المفيد ، وأصبح أهل العلم يتوافدون عليه للأخذ عنه والإفادة
منه ويرجمون إليه فيما يريدون من تحقيق أدبي أو تمليق لغوي .
لم يدون أحد ما كان يجري في هذه الندوة من المطارحات
والمناقشات ، ولو جمع هذا التحصل منه علم كثير وأدب كبير ،
ولكننا نجد تيمور باشا يشير إلى ذلك بإشارات عابرة مقتضبة
فيما كتبه في تراجم أعيان القرن الثالث عشر الهجرى ، فيقول
في ترجمة الشيخ أحمد مفتاح : « ولما انتقل إلى مدارس الأقاليم
صار يحضر إلى القاهرة في فترات فيزل عندنا ، ويجتمع به
إخوانه وأصدقائه في ليال كنا نحياها بالمطارحات الأدبية وإنشاد
الأشعار » .

ويقول في ترجمة أستاذه الشيخ حسن الطويل : « ومن
غريب المصادفات أنه زارني قبل وفاته بيومين في ليلة مقمرة ،
جلسنا في صحن الدار نلعب الشطرنج ، وكان مولماً به مع قلة
إجادته فيه ، فقال لي عندما أراد الذهاب : نحن الآن في الامتحان
وقد قربت الأجازة ، وسدرى ضيق في هذه الأيام من الناس ،
ونفسى تجنح للمزلة ، فهل تعرف لي مكاناً أفضى فيه ببعض أيام
بمبدأ منهم ؟ فقلت : يا سيدى . إذا انتهى الامتحان فالأوفى
أن نساغر معاً إلى ضيقتنا التي بقويسنا فنخلو فيها بكتاب نقرؤه ،
فقال : نعم الراى هذا ، وسأستصحب معى ولدى حسناً يشترك
معنا في القراءة . ثم لم يمض يومان حتى نقله الله إلى جواره ،
ويسر له المزلة ولكن في دار قراره » .

ويظهر أن ندوة تيمور لم تكن لها ليلة معينة في الأسبوع ،
بل كانت مفتحة الأبواب دائماً ، وكان إخوانه يجتمعون به كل
ليلة وكل وقت يروق لهم ، فهو يحكى عن نفسه أن أستاذه
الشنقيطي أشار عليه بقراءة أمالي أبى على القالى قراءة إيمان
وتدبر ، فاعتزل الناس ثلاثة أيام لهذا الغرض ، فلم ترق هذه
المزلة صديقه محمد أفندى أكل فماد إليه بعد الأيام الثلاثة ومعه
زجل ينحى فيه على الشنقيطي وعلى أبى على القالى اللذين تسببا في
انقطاعه عن الإخوان وفيه يقول :

يا سيد احمد يا تيمور يا لى منمنا من أنسك